والتقوى بهم ولذلك فصل المخاطبين بالانس والجن فيما باق ذكره القاضي قال
يكون عاما شاملا لذوي العلم كلهم من الملايكة والثقلين ويكون ذكر الملايكة مطويا
مندرجا في قوله وجنكم لشموله الاحتساب بهم وتوجه هذا الخطاب نحوهم
لا يتوقف على صدور الفجور فيهم ولا على امكانه لانه كلام صادر على سبيل
الفرض والتقدير واعترضه الطيبي بانه يمكن ان يكون الخطاب عاما
ولا تدخل الملايكة في الجن لان الاضافة في جنكم تقتضي المغايرة فلا يكون
تفضيلا بل اخراجا للقبيلين اللذين يصح اتصافهما بالتقوى والفجور
اني حرمت الظلم على نفسي اي منعت اي تقدست وتعاليت عنه
لانه مجاوزة الحد او التصرف في ملك الغير وكلاهما في حقي كالمحرم فهو استعارة
صريحة تبعية شبه تنزهه عنه بتحرز المكلف عما نهي عنه في الامتناع
عنه ثم استعمل في جانب المشبه ما كان مستعملا في جانب المشبه به
مبالغة ويحتمل كونه مشاكلة لقوله تعالى وجعلته بينكم محرما ذكره الطيبي
قال العارف ابن عربي رحمه الله تعالى من لم يخرج شيء في الحقيقة عن
ملكه فلا يتصف بالظلم فيما يجريه حكمه في ملكه ثم انه قدم ذلك تمهيدا وتوطية
لقوله فلا تظالموا بشد الظا وتخفيف اصله تتظالموا اي لا يظلم بعضكم بعضا
فانه لا بد من اقتصاصه تعالى للمظلوم من ظالمه ولما قرر حرمة الظلم على
نفسه وعلى عباده اتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم وفقرهم اليه فقال
يا عبادي كرر النداء تنبيها على فخامة الامور ونسبة الضلال الى الكل بحسب
مراتبهم كلكم ضال اي غافل عن الشرايع قبل ارسال الرسل ووجدك ضالا
فهدى ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان او ضال عن الحق لو ترك وما يدعوا
له الطبع من الراحة واعمال النظر المودي الى المعرفة وامتثال الامر وتجنب
النهي الا من هديته ووفقته للايمان وللخروج عن مقتضى طبعه ولا ينافيه
خبر كل مولود يولد على الفطرة لان ذلك ضلال طاري على الفطرة الاولى
فاستهدوني سلوني الهدى ابتدا بمعنى الدلالة على طريق الخير والايصال
اليها اهدكم انصب لكم ادلة واضحة على ذلك او اوصل من شئت ايصاله
في سابق علمي الازلي من يهدي الله فهو المهتدي وحكمة الطلب اظهار
الافتقار والاذعان والاعتراف بمقام الربوبية ورتبة العبودية قال
الراغب الضلال العدول عن الطريق المستقيم ويضاده الهداية ويقال
الضلال لكل عدول عن المنهج عمدا او سهوا قليلا او كثيرا فان الطريق المستقيم
الذي هو المرتضى صعب جدا وعن وان كنا مصيبين من وجه ضالين من
من وجوه كثيرة فان الاستقامة والصواب يجري مجرى المقرطس من المرمى
وما عداه من الجوانب كلها ضلال والى ذلك اشار المصطفى صلى الله عليه وسلم
بقوله استقيموا ولن تحصوا فاذا كان كذلك صح ان يستعمل لفظ الضلال
فيمن يكون خطا ما ولذلك نسب الضلال الى الانبيا والى الكفار وان كان
بين الضلالين بون بعيد قال في حق المصطفى صلى الله عليه وسلم ووجدك ضالا

فهدى

فهدى اي غير مهتد لما سبق لك من النبوة وقال موسى وانا من الضالين تنبيها
على ان ذلك منه سهو انتهى ولما فرغ من الامتنان بامور الدين شرع في الامتنان
بامور الدنيا وبدا بما هو اصل فيها ومكمل لمنافعها من الشبع واللبس اذ لا يستغنى
عنهما ومن ثم وصف الجنة بقوله تعالى ان لك الا تجوع فيها ولا تعرى فقال
يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته لان الخلق ملكه ولا ملك لهم بالحقيقة وخزاين
الرزق بيده فمن لا يطعمه بفضله بقي جايعا بعدله وانما وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فهو التزام تفضلا لا وجوبا فاستطعموني اطلبوا مني الطعام لانه
في يده تعالى وما في يد العبد ليس بحوله وقوته فلا يد له بالحقيقة بل اليد لرب
الخليقة اطعمكم ايسر لكم اسباب تحصيله ان الله هو الرزاق وهذا تاديب
للفقرا فكانه قال لا تطلبوا الطعمة من غيري فان الذي استطعمتموهم
انا الذي اطعمهم قال الطيبي ان قلت ما معنى الاستثنا في
قوله الا من اطعمته والا من كسوته وليس احد من الناس محروما عنهما
قلت لا كان الاطعام والكسوة معبرين عن النفع التام والبسط في
الرزق وعدمهما عن التقتير والتضيق كما قال تعالى الله يبسط الرزق
لمن يشا ويقدر سهل التقصي عن الجواب فظهر منه نفي الشبع والكسوة انه
ليس المراد باثبات الجوع والعري في المستثنى اثبات الشبع منه نفي الشبع
والكسوة بالكلية وليس في المستثنى اثبات الشبع والكسوة مطلقا بل المراد
بسطهما وتكثيرهما يا عبادي كلكم عار الا من كسوته فاستكسوني اكسكم
فاسالوا الله من فضله فانه لا حول ولا قوة الا به ولا استمساك الا بسببه قال
عيسى ابن ادم اسوء بك ظنا حين كنت اكمل عقلا لانك تركت الحرص حين كنت جنينا
محمولا ورضيعا مكفولا ثم ادرعته عاقلا فذهبت رشدك وبلغت
اشدك يا عبادي انكم تخطيون بضم اوله وكسر ثالثه ان تفعلون الخطيية
عمدا بفتح اوله وثالثه من خطي تخطى اذا فعل عن قصد بالليل والنهار هذا من
قبيل المقابلة لاستحالة وقوع الخطا من كل منهم ليلا ونهارا وانا اغفر الذنوب جميعا
غير الشرك وما لا يشا مغفرته ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك
لمن يشا واكد بال الاستغراقية وجميعا مفيد كل منهما للعموم ليقوى الرجا ولا
ولا يقنط احد فاستغفروني اغفر لكم والغفار لمن تاب وروطا معه الفا بما قبلها
ايذانا بان غير المعصوم لا ينفك غالبا عن المعصية وفي هذه الجمل لما يستحى
منه كل مومن لانه اذا لمح انه خلق الليل ليطاع فيه سرا استحى ان ينفق اوقاته
في ذلك الا فيه كما انه استحى بطبعه من صرف شي من النهار حيث يراه الخلق
للمعصية يا عبادي لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا بحذف
نون الاعراب جوابا عن النفي اي لن تبلغوا ايجز كم الي مضرتي ولا يستقيم
ولا يصح ان تضروني حتى انضر منكم ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني اي لا يتعلق
بي ضر ولا نفع فتضروني او تنفعوني لانه تعالى غني مطلق والعبد فقير مطلق
والفقير المطلق لا يملك للغني المطلق ضرا ولا نفعا فما اقتضاه ظاهر العبد

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)